الفصل الثانى

الإلهيَّات

بمشيئة الله تعالى سنتناول المسائل الإيمانية المتعلقة بالبارى عز وجل مما يجب على كل مسلم أن يعتقده تصديقًا وإيمانًا بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من قرآن وسنة فى هذا الشأن قال الله تعالى(١): ﴿ **وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ ومَا نهاكُمْ عنْهُ فانتهُوا** ﴾ [الحشر: ٧].

قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى: نظرت فى المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ فى ثلاثة وثلاثين موضعًا. ثم جعل يتلو: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وجعل يكررها. ويقول: وما الفتنة الشرك لعله أن يقع فى قلبه شيء من الزيغ. فيزيغ قلبه فيهلكه. وجعل يتلو هذه الاية: ﴿ **فَلا وربِّكَ لا يُؤْمنُونَ حتَّىٰ يُحكِّمُوكَ فيمَا شَجرَ بَيْنهُمْ** ﴾ [النساء: ٦٥].

ويقول. من رد حديث النبى ﷺ فهو على شفا هلكة(٢).

وقال الله تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدةً فَبَعثَ اللَّهُ النَّبيِّينَ مُبَشِّرينَ ومُنذِرينَ وأَنزَلَ معَهُمُ الْكتَابَ بالْحقِّ ليَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فيما اخْتَلَفُوا فيه ومَا اخْتَلَفَ فيه إلاَّ الَّذينَ أُوتُوهُ منْ بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهدَى اللَّهُ الَّذين آمنُوا لما اخْتَلَفُوا فيه منَ الْحقِّ بإذْنه واللَّهُ يهْدي منْ يشَاءُ إلَىٰ صرَاط مُّستَقيم** ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال عز وجل: ﴿ **إنَّ الدِّين عندَ اللَّه الإسْلامُ ومَا اخْتَلفَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ إلاَّ منْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ومَن يَكْفُرْ بآيَات اللَّه فَإنَّ اللَّهَ سَريعُ الْحسَاب** ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذين فِي قُلُوبهمْ زَيْغٌ فَيَتَّبعُونَ مَا تَشَابَهَ منْهُ ابْتغَاءَ الْفتْنَة وَابْتغَاءَ تَأْويله ومَا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ** ﴾ [ال عمران: ٧].

(١، ٢) الإبانة لابن بطة: ١/ ٥٩، ٦٠.

ونحو هذا فى القرآن كثير. قال ابن عباس رضى الله عنهما: أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله.

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه. عن النبى ﷺ عليه وسلم قال: «من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات فقدمات ميته جاهلية».

وروى أحمد فى مسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عليه وسلم: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة. فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الأثنين أبعد».

وروى ابن ماجة عن معان بن رفاعة قال: سمعت أبا خلف الأعمى يحدث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتى لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم».

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجة عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون. ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيا. فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

إن العقيدة الإسلامية مصدرها: الكتاب والسنة. وهذا ما عرفه السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام. وهو المنهج الحق والصراط المستقيم والقول الفصل فى أخطر قضايا الدين.

وما جاء عن غير طريق الوحى مما هو من نتاج العقل البشرى. فليس له مكان فى هذا الأمر العظيم. والله تعالى يقول الحق وهو يهدى إلى الصراط المستقيم. والرسول ﷺ هو المبلغ عن رب العالمين.

* * *

١ – التوحيد

الله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته واحد فى صفاته واحد فى أفعاله هو الله عز وجل الواحد الأحد. المعبود وحده. لا يشاركه أحد فى ملكه ولا ينازعه أحد فى سلطانه. لا يحتاج إلى أحد. والكل محتاج إليه وهذا ما يجب على العبد اعتقاده والإيمان به قولاً وفعلاً. وحركة وسكونًا – بهذا بعث الله فينا الأنبياء والمرسلين. وبه أنزل الله الكتب. وشهد به الملائكة وأولوا العلم من خلقه عز وجل نتلوا من كتاب الله عز وجل: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عندهُ إِلاَّ بِإِذْنِه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وسِع كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ من رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَه إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿ **الْحَمْدُ للَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عندهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوات وَفِي الأَرْضِ يعلمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** ﴾ [الأنعام: ١ – ٣].

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِه إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّه إِنِّي أَخَافُ عليْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦].

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الاخلاص: ١ - ٤].

فهذه الآيات - وغيرها كثير - توجب على العباد الإيمان بوحدانية الله تعالى وتلك آيات أخرى تنفى عن الله عز وجل ادعاءات المضلين وكفر الكافرين وجهل الجاهلين، الذين قالوا على الله تعالى قولاً بغير علم يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٧، ١٨].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٠، ١٠١].

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١].

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢].

﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم: ٣٥، ٣٦].

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩].

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون ١١٦، ١١٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ [الصافات: ٤].

﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤].

ويقول ربنا عز وجل مثنيا على نفسه ومقرراً وحدانية عز وجل:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ١ - ٣].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١].

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ١، ٢].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمواتِ ومَا فِي الأَرْضِ ولَهُ الْحمْدُ فِي الآخِرَةِ وهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمواتِ والأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١].

ويتساءل الله عز وجل فى كتابه عما يقول به الجاحدون منكرًا عليهم موقفهم ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٤].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وتقرر السنة الشريفة: أن المراد بتوحيد الله تعالى. الشهادة بأنه إله واحد روى البخارى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول: لما بعث النبى ﷺ معاذا إلى نحو أهل اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى. فإذا عرفوا ذلك. فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم. فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس».

وروى أيضًا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «يا معاذ. أتدرى ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم.

قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

أتدرى ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم.

وروى البخارى أيضًا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ «قل هو الله أحد» يرددها. فلما أصبح جاء إلى النبى ﷺ فذكر له ذلك - فكأن الرجل يتقالها - فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

وروى أيضًا عن عائشة رضى الله عنها. أن النبى ﷺ: بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: سلوه لأى شىء يصنع ذلك؟ فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن. وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبى ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه».

وروى أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أنشدك الله. آلله أرسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى؟ قال: نعم. فأسلم.

وروى مسلم عن عمرو بن عنبسة أنه أتى النبى ﷺ فقال: ما أنت؟

قال: نبى الله. قلت: آلله أرسلك؟ قال: نعم. قلت: بأى شىء؟

قال: «أوحد الله لا أشرك به شيئًا» لحديث.

وبما ورد فى القرآن الكريم وفى السنة الشريفة من إثباتا وحدانية الله عز وجل آمن السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام ولكن ليس علي طريقة المتكلمين والفلاسفة.

قال العلاقة ابن حجر العسقلانى فى الفتح[1]: ويكفى فى الردع عن الخوض فى طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين: كعمر بن عبدالعزيز زمالك بن أنس والشافعى. وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا فى الجوهر و لعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين.

قال: وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك. وبعضهم إلى الإلحاد. وبعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات. وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع وتطلبهم

---

(١) ١٣ / ٤٣٤.

حقائق الأمور من غيره. وليس فى قوة العقل ما يدرك ما فى نصوص الشارع من الحكم التى استأثر بها. وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم حتى جاء عن إمام الحرمين[1] أنه قال: (ركبت البحر الأعظم وغصت فى كل شىء نهى عنه أهل العلم فى طلب الحق فراراً من التقليد. والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف).

هذا كلامه أو معناه. وعنه أنه قال عند موته: (يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام. قلو عرفت أنه يبلغ بى ما بلغت ما تشاغلت به).

ثم قال: وقال أبو المظفر بن السمعانى تعقب بعض أهل الكلام قول من قال إن السلف من الصحابة والتابعين لم يعتنوا بإيراد دلائل العقل فى التوحيد. بأنهم لم يشتغلوا بالتعريفات فى أحكام الحوادث. وقد قبل الفقهاء ذلك واستحسنوه فدونوه فى كتبهم. وكذلك علم الكلام. ويمتاز علم الكلام بأنه يتضمن الرد على الملحدين وأهل الأهواء. وبه تزول الشبهة عن أهل الزيغ ويثبت اليقين لأهل الحق وقد علم الكل أن الكتاب لم تعلم حقيقته والنبى ﷺ لم يثبت صدقه إلا بأداة العقل.

وأجاب: أما أولاً: فإن الشارع والسلف الصالح نهوا عن الابتداع وأمروا بالاتباع. وصح عن السلف أنهم نهوا عن علم الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب. وأما الفروع: فلم يثبت عن أحد منهم النهى عنها إلا من ترك النص الصحيح وقدم عليه القياس. وأما من أتبع النص وقاس عليه فلا يحفظ عن أحد من أئمة السلف إنكار ذلك. لأن الحوادث فى المعاملات لا تنقضى. وبالناس حاجة إلى معرفة الحكم. فمن ثم تواردوا على استحباب الاشتغال بذلك بخلاف علم الكلام.

وأما ثانيا: فإن الدين كمل لقوله تعالى: «اليوم أكلمت لكم دينكم» فإذا كان أكمله وأتمه وتلقاه الصحابة عن النبى ﷺ واعتقده من تلقى عنهم واطمأنت به نفوسهم. فأى حاجة بهم إلى تحكيم العقول والرجوع إلى قضاياها وجعلها أصلاً. والنصوص الصحيحة الصريحة تعرض عليها. فتارة يعمل بمضمونها. وتارة تحرف عن مواضعها لتوافق العقول.

وإذا كان الدين قد كمل فلا تكون الزيادة فيه إلا نقصانا فى المعنى، مثل زيادة أصبع فى اليد فإنها تنقص قيمة العبد الذى يقع به ذلك. وقد توسط بعد المتكلمين فقال: لا يكفى التقليد بل لابد من دليل ينشرح به الصدر وتحصل به الطمأنينة العلمية. ولا يشترط أن يكون بطريق الصناعة الكلامية، بلا يكفى فى حق كل أحد بحسب ما يقتضيه فهمه. أ. هـ.

---

(١) الإمام الجوينى.

وقال القرطبي[1] : هذا الذى عليه أئمة الفتوى ومن قبلهم من أئمة السلف واحتج بعضهم بما تقدم من القول فى أصل الفطرة. وبما تواتر عن النبى ﷺ ثم الصحابة. أنهم حكموا بإسلام من أسلم من جفاة العرب ممن كان يعيد الأوثان. فقبلوا منهم الإقرار بالشهادتين، والتزام أحكام الإسلام من غير إلزام بتعليم الأدلة. وإن كان كثيراً منهم إنما أسلم لوجود دليل ما. فأسلم بسبب وضوحه له. فالكثير منهم قد أسلموا طوعا من غير تقدم استدلال. بل بمجرد ما كان عندهم من أخبار أهل الكتاب بأن نبيا سيبعث وينتصر على من خالفه. فلما ظهرت لهم العلامات فى محمد ﷺ بادروا إلى الإسلام وصدقوه فى كل شيء قاله ودعاهم إليه من الصلاة والزكاة وغيرهما. وكثير منهم كان يؤذن له فى الرجوع إلى معاشه من رعاية الغنم وغيرها. وكانت أنوار النبوة وبركاتها تشملهم فلا يزدادون إيمانا ويقينا. أ. هـ.

وقال أبو المظفر بن لسمعانى أيضا: (ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى التوحيد. وإنما ننكر أنه يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح إسلام إلا بطريقة).

وخلاصة القول: أن الصحابة والتابعين والأئمة الأول من السلف لم ترضهم طرق المتكلمين فى إثبات التوحيد مع اعترافهم الكامل بأن للعقل دوره فى فهم النص من الكتاب والسنة. فإذا تخلى العقل عن الكتاب والسنة فإنه لا يستطيع وحده إثبات التوحيد. وخاصة فى السمعيات التى طريق إثباتها هو الوحى فقط.

هذا ويتجلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل فى اعتقاد هذه الأمور:

أولاً: اعتقاد أن الله واحد لا شريك له.

ثانيا: اعتقاد أنه الخالق الرزاق ذو القوة المتين.

ثالثا: اعتقاد أنه تعالى وحده المستحق للعبادة.

رابعاً: اعتقاد أن مقادير الأشياء بيده عز وجل.

خامسا: اعتقاد أنه هو الذى أرسل الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم نؤمن بأن الله عز وجل واحد فى ذاته. واحد فى صفاته واحد فى أفعاله. لا شريك له فى ملكه. ولا ينازعه أحد فى سلطانه ولا يشاركه أحد فى العباده. يتقرب العباد إليه بالطاعة. وهو الغنى عن عباده وهم الفقراء إليه. الخلق خلقه وكل ما عداه ملكه وخاضع لجبروته وسلطانه وعظمته. ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. كفر به من اتخذ معه إلها آخر. منزهه عن النقائص عز وجل.

---

(١) فتح البارى ١٣ / ٤٣٧.

١ - الأسماء والصفات

أولاً: الأسماء الحسنى:

قال الله عز وجل: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

قال: «إن لله تسعة وتسعين إسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة» ورواه مسلم فى الدعوات.

وروى أيضًا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات. وليقل: باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه. إن أمسكت نفسى فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وروى البيهقى بسنده عن عبد الرازق بن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين إسمًا مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة. انه وتريحب الوتر. هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. الملك القدوس. السلام المؤمن المهيمن. العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. البارئ. المصور. الغفار. القهار. الوهاب. الرزاق. الفتاح العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع. المعز. المذل السميع. البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. العلى. الكبير. الحفيظ. المقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب.

المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. الباعث. الشهيد. الحق. الوكيل. القوى. المتين. الولى. الحميد. المحصى. المبدئ. المعيد. المحيى. المميت. الحى. القيوم. الواجد. الماجد. الواحد. الصمد. القادر. المقتدر. المقدم. المؤخر. الأول. الآخر. الظاهر. الباطن. الوالى. المتعال. البر. التواب. المنتقم. العفو. الرءوف. مالك الملك. ذو الجلال والأكرام. المقسط. الجامع. الغنى. المغنى. المانع. الضار. النافع. النور. الهادى. البديع. الباقى الوارث. الرشيد. لصبور» ورواه البخارى.

قال الإمام البيهقى فى الأسماء والصفات[1]:

(وليس فى قول النبى ﷺ: تسعة وتسعون أسمًا نفى غيرها وإنما وقع التخصيص بذكرها. لأنها أشهر الأسماء وأبينها معانى. وفيها ورد الخبر أن من أحصاها دخل الجنة. وفى رواية سفيان – من حفظها – وذلك يدل على أن المراد بقوله من أحصاها. من عدها. وقيل: معناه من أطاقها بحسن المراعاة لها. والمحافظة على حدودها فى معاملة الرب بها. وقيل معناه من عرفها. وعقل معانيها وآمن بها والله أعلم).

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب مسلمًا قط همّ ولا حزن. فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك. ناصيتى بيدك. ماضى فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك. أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك. أن تجعل القرآن ربيع قلبى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى. إلا أذهب الله عنه همه وأبدله مكان همه فرجًا. قالوا: يا رسول الله. ألا نتعلم هذه الكلمات. قال: بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن».

وروى أيضًا عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها. أنها قالت: يا رسول الله علمنى اسم الله الذى إذا دعى به أجاب. قال لها ﷺ: قومى فتوضىء وادخلى المسجد[2] فصلى ركعتين. ثم ادعى حتى أسمع. ففعلت. فلما جلست للدعاء قال النبى ﷺ: اللهم وفقها. فقالت: اللهم إنى أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم نعلم. وأسألك باسمك العظيم الأعظم. الكبير الأكبر. الذى من دعاك به أجبته. ومن سألك به أعطيته قالت يقول النبى ﷺ: «أصبته. أصبته».

---

(١) ص ٦.

(٢) مسجد المرأة فى بيتها فى حجرة نومها.

وروى عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن لله تعالى تسعة وتسعين أسماً من أحصاها دخل الجنة فذكرها وعد منها. الإله الرب. الحنان. المنان. البارى. الأحد. الكافى. الدائم. المولى. النصير. المبين. الجميل. الصادق. المحيط. القريب. القديم. الوتر. الفاطر. العلام. المليك. الأكرم. المدبر. القدير. الشاكر. ذو الطول. ذو المعارج. ذو الفضل. الكفيل»[1].

قال الإمام البيهقى رحمه الله تعالى[2]: وزعم بعض أهل العلم بالحديث. أن ذكر الأسامى فى هذا الحديث من جهة بعض الرواة. وأن الحديث الصحيح عن النبى ﷺ فى ذكر عددها دون تفسير العدد وهذه الأسامى مذكورة فى كتاب الله عز وجل وفى سائر الأحاديث عن نبينا محمد ﷺ مفرقة نصا أو دلالة قد ذكرناها فى كتاب الأسماء والصفات. أ. هـ.

وقال الإمام جلال الدين السيوطى فى كتابه «الإكيل فى استنباط التنزيل».

أخرج أبو نعيم فى كتاب الصفات من طريق ليث عن مجاهد عن ابن عباس وابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعة وتسعون أسماً من أحصاها دخل الجنة وهى فى القرآن» كذا أخرجه بهذه الزيادة وهى مستغربة.

وأخرج عن طريق جعفر بن محمد (الصادق) - رضى الله عنهما - أنه سئل عن الأسماء التسعة والتسعين فقال هى فى القرآن.

ففى الفاتحة خمسة: يا الله. يا رب. يا رحمن. يا رحيم. يا ملك.

وفى البقرة: يا محيط. يا قدير. يا عليم. يا حكيم. يا علىّ. يا عظيم. ياتواب. يا نصير. يا ولى. يا واسع. يا كافى. يا رءوف. يا بديع. يا شاكر. يا واحد. وياسميع. يا قابض. يا باسط. يا حى. يا قيوم. يا غنى. يا حميد. يا غفور. يا حليم. يا إله. ياقريب. يا مجيب يا ناصر. يا قوى. يا شديد. يا سريع. يا خبير.

وفى آل عمران: يا وهاب. يا قائم. يا صادق. يا باعث. يا منعم. يا متفضل.

وفى النساء: يا رقيب. يا حسيب. يا شهيد. يا مقيت. يا وكيل. يا كبير. يا عَفُو.

---

(١) ضعفه يحيى بن معين والبخارى لتفرد عبدالعزيز بن الحصين بهذه الرواية وهو ضعيف. ومع ذلك هذه الأسماء واردة فى القرآن الكريم بعضها لفظا وبعضها معنى.

(٢) الاعتقاد: ١٤٣ - ١٤٥.

وفى الأنعام: يا فاطر. يا قاهر. يا مغيث. يا برهان. يا لطيف. يا قادر.
وفى الأعراف: يا محيى. يا مميت.
وفى الأنفال: يا نعم المولى. يا نعم النصير.
وفى هود: يا حفيظ. يا مجيد. يا دوود. يا فعال لما يريد.
وفى الرعد: يا متعال.
وفى إبراهيم: يا منان، يا وارث.
وفى البحر: يا خلاق.
وفى مريم: يا فرد.
وفى طه: يا غفار.
وفى قد أفلح (المؤمنون): يا كريم.
وفى النور: يا حق. يا مبين. يانور.
وفى الفرقان: يا هادى.
وفى سبأ: يا فتاح.
وفى الزمر: يا علام.
وفى غافر: يا غفار. يا قابل التوب. ياذا الطول. يا رفيع.
وفى الذاريات: يارزاق. يا ذا لقوة المتين.
وفى الطور: يا بر.
وفى اقتربت: يا مليك. يا مقتدر.
وفى الرحمن: يا ذا الجلال والاكرام. يا باقى. يا معين.
وفى الحديد: يا أول. يا آخر. يا ظاهر. يا باطن.
وفى الحشر: يا قدوس. يا سلام. يا مؤمن. يا مهيمن. يا عزيز. يا جبار. يامتكبر. يا خالق يا بارئ. يا مصور.
وفى البروج: يا معبدئ. يا معيد.
وفى الفجر: يا وتر.
وفى الإخلاص: يا أحد. يا صمد.

فهذه الأسماء التى تتبعها جعفر تزيد على العدة المذكورة بثمانية أسماء. وإذا حذف منها ما لم يرد بصيغة الإسم وهى: صادق. متفضل. منان. منعم. مبدئ. معيد. قابض باسط. برهام. باعث. معين. مميت. باقى. وكذا ما اختلف فى كونه من

أسمائه تعالى فى القرآن وهى: فرد. وتر. سقط منها خمسة عشر اسما فيبقى إثنان وتسعون.

وقد تتبع الحافظ ابن حجر سبعة أسماء لتكلمة العدة وهى: القهار والشكور فى قوله: ﴿ **إن ربنا لغفور شكور** ﴾ والأعلى والأكرم فى قوله تعالى: ﴿ **وربك الأكرم** ﴾ والغالب ﴿ **والله غالب على أمره** ﴾ والكفيل: ﴿ **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** ﴾ والحفى: ﴿ **إنه كان بى حفيا** ﴾[1] هذا: وقد لوحظ أن الإمامين البخارى والبيهقى[2]: يسوقان الأحاديث التى وردت فى الأسماء والصفات ويؤيدان هذه الأحاديث بآيات من القرآن الكريم للدلالة على خروج هذه الأحاديث عن أخبار الآحادى وبذلك بصير العمل بها فى الاعتقاديات أمراً واجباً. وإن من أنكرها خالف الكتاب والسنة جميعاً.

وقد أخرج ابن أبى حاتم[3] فى « كتاب الرد على الجهمية » بسند صحيح عن سلام ابن أبى مطيع وهو شيخ من شيوخ البخارى أنه ذكر المبتدعة فقال: ويلهم ماذا ينكرون من هذه الأحاديث. والله ما فى الحديث شىء إلا وفى القرآن مثله. يقول الله تعالى (إن الله سميع بصير – ويحذركم الله نفسه – والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه – ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى وكلم الله موسى تكليما – الرحمن على العرش استوى) ونحو ذلك. فلم يزال – أى سلام بن أبى مطيع – يذكر الآيات من العصر إلى غروب الشمس. أ. هـ.

فأسماء الله الحسنى لا حصر لها. والذى وصلنا منها هو ما ذكر فى القرآن الكريم وفى السنة الشريفة. وهو ما يجب الإيمان به (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

* * *

(١) ذكره الأستاذ: عبدالله الدرويش بهامش كتاب الاعتقاد للبيهقى: ١٤٣ – ١٤٥.

(٢) البخارى فى الصحيح فى كتاب التوحيد. والبيهقى فى كتابه الأسماء والصفات.

(٣) فتح البارى ١٣٠ / ٤٤٥.

ثانيًا: الصفات المقدسة:

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٧، ٨].

آيات القرآن الكريم تنقسم إلى قسمين هما:

آيات محكمة هن أم الكتاب: أى بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد من المؤمنين. وآيات متشابهات: أى فيها اشتباه فى الدلالة على كثير من الناس أو على بعضهم.

قال ابن كثير فى التفسير: فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى: ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ أى تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد(١).

ولعل الحكمة فى نزول الآيات المتشابهات هى: اختبار إيمان العباد بما أنزل الله فيكون نزولها ابتلاء لهم. قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: منه آيات محكمات فهو حجة الرب وعصمة العباد. ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه. قال: والمتسابهات فى الصدق ليس لهن تصريف تحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ويحرّفن عن الحق.

وروى الإمام أحمد فى المسند عن عائشة رضى الله عنه قالت: قرأ رسول الله ﷺ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ ﴾ إلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣٤٤.

قوله ﴿ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى فاحذروهم» واللفظ البخارى.

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل. حدثنا حماد عن أبى غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾قال: هم الخوارج.

وفى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال: هم الخوارج. وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبى غالب عن أبى أمامة فذكره.

قال ابن كثير: وهذا الحديث أقل أقسامه: أن يكون موقوفا من كلام الصحابى ومعناه صحيح. فإن أول بدعة وقعت فى الإسلام. فتنة الخوارج. أ. هـ.

وللعلماء حول قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ رأيان. هما:

أولاً: من قال بالوقف على ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ يقولون: ليس للراسخين تأويله بل هم يؤمنون بما أنزل ويقولون ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾.

ثانيًا: من قال بالوقف على ﴿ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ يقولون: يجوز للراسخين فى العلم أو لبعضهم إن أمكنهم الله من الفهم وأفاض عليهم من فضله أن يؤولوا. وإلا حملوا المتشابه على المحكم وقالوا ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ والله أعلم.

كان لابد لنا من ذكر هذه المقدمة للحديث عن صفات البارى عز وجل لأن قضية الصفات من القضايا التى تكلم فيها الكثير من الناس كلاما أكثره ضلال ومنشؤه: إما الجهل. وأما الحقد. وقد وقف أهل السنة من الأشاعرة والما تريدية فى موقف المدافع وقد وقعت منهم بعض التجاوزات والأخطاء. ولهم عذرهم – الذى نرجو الله تعالى أن يعفو عنهم – لأنهم كانوا بهذا يواجهون جبهات متعددة: الخوارج والشيعة والجهمية والمعتزلة والقدرية وغيرهم من الطوائف المبتدعة. من الذين قالوا على الله قولا بغير علم.

والحق الذى يجب على المسلم اتباعه والإيمان به فى هذه القضية هو الوقوف عند النص القرآنى وما صح نقله عن رسول الله ﷺ. لأن الأمر هنا هو أمر الوحى فقط وليس ما يفضى به العقل. وكيف يستطيع العقل أن يتعرق على صفات خالفه وهو لا يعرف نفسه. وهل يستطيع المخلوق بكل قدراته وملكاته أن يفصل فى هذا الأمر؟ ﴿ **ولا يُحيطُونَ بِه علْماً** ﴾ و لإنسان يعجز عن معرفة نفسه: ما النفس. ما الروح. ما العقل؟

أشياء فى مكونات الإنسان ولا يستطيع معرفتها. فكيف يدعى أن يمكنه التعرف على أسماء الله وصفاته؟ ﴿ **وفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون** ﴾؟

إذن يكون القرآن والسنة وحدهما. هما الأصلان الذى يجب الأعتماد عليهما فى الاستدلال لمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته عز وجل. وهذا هو منهج الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام رضى الله عنهم.

ففى صفة الرحمة: يقول الله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمن أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾.

وفى الحديث روى البخارى عن جرير بن عبدالله رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس».

وروى أيضاً عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: كنا عند البنى ﷺ. إذ جاءه رسول إحدى بناته تدعوه إلى ابنها فى الموت.

فقال النبى ﷺ: ارجع فأخبرها ن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى. فمرها فلتصبر ولتحتسب. فأعادت الرسول أنها قد أقسمت ليأتينها. فقام النبى ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل. فدفع الصبى إليه ونفسه تقعقع كأنها فى شن. ففاضت عيناه. فقال له سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

قال ابن بطال: غرضه فى هذا الباب إثبات الرحمة وهى من صفات الذات فالرحمن وصف. وصف الله تعالى به نفسه وهو متضمن لمعنى الرحمة كما وصفه بأنه عالم معنى العلم إلى غير ذلك[1].

---

(١) فتح البارى: ١٣ / ٤٤٤.

وفى صفتى الرزاق ذى القوة: يقول الله تعالى ﴿**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾ وأخرج البخارى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: (ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله. يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم).

وقال ابن بطال: تضمن هذا الباب صفتين الله تعالى: صفة ذات وصفة فعل فالرزق فعل من أفعاله تعالى فهو من صفات فعله لأن رازقا يقتضي مرزوقا والله سبحانه وتعالى كان ولا مرزوق. وكل ما لم يكن ثم كان فهو محدث. والله سبحانه موصوف بأنه الرزاق ووصف نفسه بذلك قبل خلق الخلق، بمعنى أنه سيرزق إذا خلق المرزوقين، والقوة من صفات الذات وهى بمعنى القدرة. ولم يزل سبحانه وتعالى ذا قوة وقدرة. ولم تزل قدرته موجودة قائمة قائمة به موجبة له حكم القادرين. والمتين بمعنى القوة وهو فى اللغة الثابت الصحيح.

وقال البيهقى: القوى التام القدرة لا ينسب إليه عجز فى حالة من الأحوال ويرجع معناه إلى القدرة والقادر(١).

وفى صفة العلم: قال الله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا**﴾ و﴿**إن الله عنده علم الساعة**﴾ و﴿**أنزله بعلمه**﴾ و﴿**ما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ و﴿**إليه يرد علم الساعة**﴾.

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما فى غد إلا الله. ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله. ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله. ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله».

وروى البيهقى فى الأسماء والصفات عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:

قال: قال رجل: لا إله إلا الله عدد ما أحصى علمه. فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت الملائكة يلقى بعضها بعضا أيهم يسبق إليها فيكتبها. فقالت الملائكة: يا رب كيف نكتبها؟ قال: فقال الله عز وجل: أكتبوها كما قال عبدى».

وروى أيضاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره. فمن

---

(١) المصدر السابق ١٣/ ٤٤٦

أصابه من ذلك النور يومئذ شيء اهتدى. ومن أخطأه ضل. فلذلك أقول جف القلم على علم الله».

يقول البيهقي[1]: قلت: يريد بقوله من نوره، أي من نور خَلْقه. قال الله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾.

وروى البيهقي أيضاً عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ مما سمعته يُكَنِّيه قبلها ولا بعدها يقول: «إن الله عز وجل قال: يا عيسى بن مريم إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا. وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم. قال: يا رب. وكيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي».

وفي إثبات صفة القدرة: قال الله عز وجل: ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ ﴿قل هو القادر﴾ وأخرج البخاري عن جابر بن عبدالله السلمي قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك. واستقدرك بقدرتك. وأسألك من فضلك. فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم. وأنت علام الغيوب. اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر - ثم يسميه بعينه - خيرا لي في عاجل أمري وآجله. قال: أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. اللهم إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» ورواه البيهقي في الأسماء والصفات.

وروى البيهقي عن عثمان بن أبي العاص الثقفي. أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي يألم من جسدك. وقل بسم الله ثلاثا. وقل سبع مرات. أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» ورواه مسلم في صحيحه عن حرملة.

---

(١) الأسماء والصفات: ١٢١.

وروى أيضًا عن عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلينا مع عمار بن ياسر رضى الله عنه صلاة فخفف فيها. فلما انصرف. انصرف معه رجل - وهو أبى - فسأله فقال: إنى دعوت بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ: «اللهم إنى أسألك بعلم الغيب وقدرتك على الخلق. أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى. وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى. وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة. وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب. وأسألك القصد فى الفقر والغنا وأسألك برد العيش بعد الموت. وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هذاة مهتدين».

وفى إثبات صفة السمع: قال الله عز وجل: ﴿**فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير**﴾. ﴿**قد سمع الله قول التى تجادل فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما**﴾ وقال: ﴿**إننى معكما أسمع وأرى**﴾ وقال: ﴿**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى**﴾.

وروى أحمد وابن ماجة والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت: الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا فى ناحية البيت أسمع ما يقول: فأنزل الله عز وجل: ﴿**قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها**﴾ ورواه البيهقى فى الاعتقاد وقال: وفى هذا إثبات السمع لله عز وجل.

وقال: وروينا فى حديث الحر والبرد عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم. اللهم أجرنى من حر جهنم قال الله عز وجل لجهنم: إن عبدًا من عبيدى استجار بى منك. أشهدك أنى قد أجرته» وقال فى اليوم الشديد البرد معناه.

كما روى فى الأسماء والصفات عن أبى موسى رضى الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ فى مسير فكنا إذا علونا كبرنا وإذا هبطنا سبحنا.

فقال رسول الله ﷺ: أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعونى أصم ولا غائبًا. ولكنكم تدعون سميعًا قريبًا. وأتى علىَّ رسول الله ﷺ وأنا أقول فى نفسى: لا حول ولا قوة إلا بالله قال: يا عبد الله بن قيس - أبو موسى الأشعرى - قل:

لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة. وقال: يا عبد الله بن قيس: ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟ قل: لا حول ولا قوة إلا بالله» ورواه البخارى ومسلم.

وروى البخارى عن عبدالله بن يوسف عن ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب حدثنى عروة بن الزبيرى أن عائشة زوج النبى ﷺ ورضى الله عنها حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ. يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال ﷺ: «لقد لقيت من قومك شدة. وأشد ما لقيت منهم يوم العقبة. يوم عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبيد كلال. فلم يجبنى إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم على وجهى. فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب. فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى. فنظرت فإذا فيها جبريل عليه الصلاة والسلام فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك. ومارددوا عليك. وقد بعث الله تعالى إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فنادانى ملك الجبال فسلم على. ثم قال: يا محمد إن الله تعالى قد سمع قول قومك. وأنا ملك الجبال. وقد بعثنى إليك لتأمرنى من أمرك بما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - الجبلين - فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا» رواه مسلم والبيهقى.

وروى البيهقى عن زياد بن فياض عن أبى عياض قال: سألت ابن عمر رضى الله عنهما أو قال: سئل ابن عمر. وأنا أسمع عن الخمر فقال: لا وسمع الله عز وجل لا يحل بيعها ولا ابتياعها. فحلف بسمع الله عز وجل.

وفى صفة البصر والرؤية - وهما عبارتان عن معنى واحد - قال الله عز وجل ﴿**إن الله هو السميع البصير**﴾ وقال: ﴿**إنه كان بعباده خبيرا بصيرا**﴾ وقال ﴿**وكان الله سميعا بصيرا**﴾ وقال: ﴿**فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ وقال: ﴿**ألم يعلم بأن الله يرى**﴾ وقال: ﴿**إننى معكم أسمع وأرى**﴾.

وروى الإمام أحمد عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فجعلنا لا نصعد شرفًا أولاً نعلو شرفًا ولا نهبط فى واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائبًا. وإنما تدعون سميعا بصيرا. إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته. يا عبد الله بن قيس. ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟

« لا حول ولا قوة إلا بالله » أخرجاه فى الصحيح من حديث خالد. وقال بعضهم عن عبدالوهاب « سميعا قريبا » ورواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم عن عبدالوهاب وأقوى: إن الله سميع بصير كما أخبر وبالمعنى الذى أراد. وعلينا الإيمان والتصديق بما أنزل الله تعالى وبما روى عن رسول الله ﷺ وليس لنا أن نعمل عقولنا فى هذا الأمر لقصور عقولنا عن معرفة ما يجب لربنا إلا بسند من الوحى والتنزيل وما روى عن البشير النذير ﷺ وصدق الله العظيم ﴿ **ولا يحيطون به علما** ﴾.

اللهم إيمانا بك وتصديقك بكتابك ورسولك اهدنا لمعرفة الحق والصواب.

ومن صفات الله تعالى صفة الحياة:

قال الله تعالى: ﴿ **هو الحى لا إله إلا هو** ﴾.

وروى البيهقى فى الأسماء والصفات عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: « أن اسم الله الأعظم لفى سور من القرآن ثلاث: البقرة. وآل عمران. وطه » قال أبو حفص عمر بن أبى سلمة: فنظرت أنا فى هذه السور فرأيت فيها شيئًا ليس فى شىء من القرآن مثله آية الكرسى ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ وفى آل عمران ﴿ **آلم الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ وفى طه ﴿ **وعنت الوجوه للحى القيوم** ﴾.

وروى أيضًا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا فى الحلقة. ورجل قائم يصلى. فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال فى دعائه: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض. يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم إنى أسألك فقال النبى: « لقد دعا الله باسمه العظيم. الذى إذا دعى به أجاب. وإذا سئل به أعطى » ورواه أبو داود فى سننه.

وقال الإمام الحليمى: وإنما يقال ذلك لأن الفعل على سبيل الاختيار لا يوجد إلا من حى. وأفعال الله جل ثناؤه كلها صادرة عنه باختياره. فإذا أثبتناها له فقد أثبتنا أنه حى.

قال أبو سليمان: الحى فى صفة الله سبحانه هو الذى لم يزل موجودًا وبالحياة موصوفًا. لم تحدث له الحياة بعد الموت. ولا يعترضه الموت بعد الحياة. وسائر الأحياء

يعتورهم الموت والعدم فى أحد طرفى الحياة أو فيهما معا (كل شىء هالك إلا وجهه).

ومن صفاته تعالى . مخالفته للحوادث :

قال الله عز وجل : ﴿ **قُلْ هُو اللَّهُ أحدٌ * اللَّهُ الصَّمدُ * لمْ يلِدْ ولمْ يُولدْ * ولمْ يكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** ﴾ .

الله سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء من المخلوقات ولا يشبه شيئًا منها لأنه لو أشبهه شىء لكان مثله لا أول له . ولو أشبه شيئًا لكان مثله مخلوقًا وكلا الحالين محال كما ذكر فى النص القرآنى .

* * *

الأول والآخر والظاهر والباطن

من الصفات الثابتة لله عز وجل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن ثبت ذلك بالقرآن الكريم وبالنسبة المطهرة. وأجمعت عليه الأمة قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

وروى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول إذا آوى إلى فراشه: (اللهم رب السموات ورب الأرض. ورب كل شيء فالق الحب والنوى. منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته. أنت الأول فليس قبلك شيء. وأنت الآخر فليس بعدك شيء. وأنت الظاهر فليس فوقك شيء. وأنت الباطن فليس دونك شيء) وزاد وهب فى حديثه «اقض عنى الدين واغننى من الفقر» ورواه مسلم فى الصحيح.

وروى البيهقى بسنده المتصل. عن أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: (اللهم أنت الأول فلا قبلك شيء. وأنت الآخر فلا شيء بعدك. أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك. وأعوذ بك من الإثم والكسل. ومن عذاب القبر. ومن عذاب النار. ومن فتنة الْغِنَى وفتنة القبر. أعوذ بك من المأثم والمعزم).

وروى عبدالرزاق عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن رجالا سترفع بهم المسألة حتى يقولوا: الله خلق الخلق فمن خلقه؟ قال: فقولوا: الله كان قبل كل شيء. وهو خالق كل شيء. وهو كائن بعد كل شيء).

وروى عن محمد بن على قال: كان النبى ﷺ يعلم عليا رضى الله عنه دعوة يدعو بها عندما أهمه. فكان على يعلمها ولده: (يا كائنا قبل كل شيء ويا مكون كل شيء. ويا كائنا بعد كل شيء. افعل بى كذا وكذا) رواه البيهقى قال يحيى بن زياد الفراء النحوى فى كتابه معانى القرآن: الظاهر على كل شيء علما. والباطن على كل شيء علما) ذكره البخارى فى الصحيح[1].

فالله عز وجل هو الأول أزلا بلا بداية وهو الآخر أبداً بلا نهاية وهو الظاهر فليس فوقه شئ وهو الباطن فليس دونه شيء. هو أقرب إلينا من حبل الوريد جل جلاله.

---

(١) فتح البارى: ١٣/ ٤٤٩.

صفة الكلام وقضية القرآن

صفة الكلام صفة ثابتة لله عز وجل بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة. وصدق بذلك الصحابة والتابعون والأئمة من علماء السلف الصالح دون سؤال أوشك أوريبة ودون إجراء مناقشات سوفسطائية عقيمة كما فعل المتكلمون والفلاسفة.

نتلوا من كتاب الله عز وجل هذه الآيات الدالة على ثبوت هذه الصفة ثم نتبعها بما روى فى صحيح السنة الشريفة.

قال الله عز وجل: ﴿**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا**﴾ وقوله: ﴿**ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعد سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾ وقال: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه**﴾ وقال: ﴿**يسمعون كلام الله ثم يحرفونه**﴾ وقال: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ وقال ﴿**واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته**﴾ وقال: ﴿**لا تبديل لكلمات الله**﴾ وقال: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته**﴾ وقال: ﴿**ويريد الله أن يحق الحق بكلمات ويقطع دابر الكافرين**﴾ وقال: ﴿**ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون**﴾ وقال: ﴿**وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ وقال: ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾ وقال: ﴿**إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى**﴾ وقال: ﴿**الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان**﴾

وروى الإمام مالك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: رسول الله ﷺ: (تكفل الله عز وجل لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد فى سبيله. وتصديق كلماته. أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة ورواه البخارى والبيهقى.

ورواه مسلم فى صحيحه عن يحيى بن يحيى. عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله، لا يخرجه من بيته إلا جهاد

فى سبيل الله وتصديق كلمته. بأن يدخل الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة).

وروى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: أتى النبى ﷺ رجل فقال: يا رسول الله. الرجل يقاتل شجاعة. ويقاتل حمية ويقاتل رياء. فأى ذلك فى سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله».

وروى مسلم عن جعفر بن محمد (الصادق) عن أبيه - محمد الباقر - قال: أتينا جابر بن عبدالله رضى الله عنه. فذكر الحديث بطولة فى حج النبى ﷺ. وقال فيه عن النبى ﷺ: «فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله» وحدث سفيان بن عيينة. عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ من عند جويرية رضى الله عنها - وكان اسمها برة فحول اسمها - فخرج وهى فى مصلاها. فرجع وهى فى مصلاها. فقال ﷺ: لم تزالى فى مصلاك هذا؟ قالت: نعم. قال ﷺ: قد قلت بعدك أربع كلمات. ثلاث مرات. ولو وزنت بما قلت لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه. وزنة عرشه. ومداد كلماته».

ورواه مسلم فى صحيحه عن ابن أبى عمر. ورواه البيهقى فى الأسماء والصفات وقال: (وكلمات الله لا تنتهى إلى أمر ولا تحصر بعد. وقد نفى الله تعالى عنها النفاد. كما نفى عن ذاته الهلاك. والمراد بالخبر ضرب المثل دلالة على الوفور والكثرة. والله أعلم)[1].

رورى البخارى من طريق عثمان بن أبى شيبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان النبى ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما. أعيذكما بكلمات الله التامة. من كل شيطان وهامة. ومن كل شيطان وهامة. ومن كل عين لأمة. ثم يقول: كان أبوكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام».

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله فقال:

---

(١) الأسماء والصفات: ١٨٣.

يا رسول الله: ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة. قال ﷺ: «أما إنك لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم تضرك».

والقرآن الكريم كلامه سبحانه وتعالى. قال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون**﴾ وقال: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء**﴾ وقال: ﴿**ولا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه**﴾ وقال: ﴿**ألاله الخلق والأمر**﴾ وقال: ﴿**فاقرءوا ما تيسر من القرآن**﴾ وقال: ﴿**آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**﴾ وقال: ﴿**إنا جعلناه قرآن عربيا**﴾ وقال: ﴿**والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى إن هو إلا وحى يوحى**﴾ وقال: ﴿**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن**﴾ وقال: ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة مباركة**﴾ وقال: ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر**﴾.

ولا يشك مؤمن فى أن القرآن الكريم كلام الله أنزله على حبيبه وصفوة خلقه سيدنا محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيرا. بهذا آمن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ومن سار على نهجهم وسلك طريقهم. ولم يتكلموا حول القرآن إلا بتنفيذ أحكامه وتوجيهاته وإرشاداته. ولم يرد عن أى منهم أنه أثار خلافا حول القرآن الكريم بمثل هذه المسائل الجدلية التى تعرض لها علماء الكلام والفلاسفة. فلم ينقل عن الصحابة والتابعين أنهم قالوا مخلوق أو غير مخلوق. أو بصوت. ولكنهم آمنوا بما جاءهم عن الله تعالى مما أنزله على رسول الله ﷺ. وانصرفوا فى همة يطبقون أحكامه ويعملون بشرائعه. ولم يقولوا فى كتاب الله قولا بغير علم وقد كان الصحابة يذهبون إلى رسول الله ﷺ فرد أى وجماعات يسألونه عن معنى آية أو عن كيفية تنفيذ حكم من أحكام الله عز وجل وتلك المسائل الخلافية التى أثارها الجدليون حول القرآن واصطلى بنارها الكثير من علماء أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل فى محنته العظيمة[1] فهذه المشكلة دخيلة على العالم الإسلامى. وهى من مبتدعات أهل الأهواء والبدع. لذا يجب علينا الإيمان والتصديق اليقينى بأن القرآن هو كلام ربنا عز وجل ويلزمنا وجوبا العمل بأحكامه دون تردد فنحل حلاله وتحرم

---

(١) راجع كتابنا الإمام أحمد مناقب ومواقف (فصل المحنة).

حرامه ونعمل بمحكمة ومتشابهة. راجين من الله تعالى أن يهدينا حسن تلاوته وفهمه والعمل بما فيه ليحق لنا أن نستشفع بسيد الخلق ﷺ وبالقرآن ورد فى الحديث الصحيح: «الصيام والقرآن يشفعان فى العبد يوم القيامة فيقول الصوم يا رب متعته الطعام والشراب والشهوة فشفعنى فيه ويقول القرآن لقد منعته النوم بالليل فشفعنى فيه. فيشفعان».

وشفاعة القرآن من باب شفاعة صفات الجمال عند صفات الجلال فى المذنبين من عباده هذا ويجوز بل يصح القسم بالقرآن الكريم وتنعقد بذلك الأيمان كونه من صفات الله تعالى والله أعلم.

هذا: وأئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة. من أن الله تعالى كلم سيدنا موسى عليه السلام تكليما. وأن القرآن كلام الله غير مخلوق. وأن المؤمنين يرون ربهم كما تواترت بذلك الأحاديث روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) ورواه البيهقى فى الأسماء والصفات. والدارمى فى سننه.

أخرج ابن بطه العكبرى فى الإبانة عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ: يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملنى إلى قومه، فإن قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربى»[1].

وأخرج أيضا عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقرب العباد إلى الله بشىء أفضل من شىء خرج منه. وهو القرآن»[2].

وروى أبو داود عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء للسماع صلصلة كجر السلسلة على الصفا. فيصعقون حتى يأتيهم جبريل. فإذا جاء هم جبريل. فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل. ماذا قال ربكم؟ قال: يقول الحق. قال: فينادون: الحق الحق» رواه البيقهى.

وروى البخارى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إنما

---

(١) رواه البخارى فى: خلق أفعال العباد. ورواه أبو داود والترمذى وأحمد والبيهقى والدارمى.

(٢) رواه الترمذى وأحمد وابنه عبدالله والخطيب البغدادى فى التاريخ.

هما اثنتان: الكلام والهدى. فأحسن الكلام: كلام الله. وأحسن الهدى: هدى محمد ﷺ ألا وإياكم ومحدثات الأمور. فإن شر الأمور محدثاتها. وكل محدثة بدعة. وكل بدعة ضلالة» ورواه أحمد وابن ماجة والآجرى.

وعن أبى عبدالرحمن السلمى قال: سمعت عمر بن الخطاب رحمه الله يقول على منبره: (أيها الناس. إن هذا القرآن كلام الله. فلأعرفن ما عطفتموه على أهوائكم. فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس. فدخلوه طوعا وكرها. وقد وضعت لهم السنن ولم تترك مثالاً. إلا أن يكفر عبد عمد عين. فاتبعوا ولا تبتدعوا. فقد كفيتم. واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه» أخرجه ابن بطه العكبرى فى الإبانة.

وقال ابن أبى العوام: اشهدو على أن دينى الذى أدين الله عز وجل به. أن القرآن كلام الله غير مخلوق. وأن من زعم أن القرآن مخلوق. فهو كافر. وهذه كانت مقالة أبى[1].

ورى البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والترمذى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت: (كان النبى ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات).

قال ابن بطة العكبرى: فتفهموا رحكم الله هذه الأحاديث - التى رواها فى الإبانة - فهل يجوز أن يعوذ النبى ﷺ بمخلوق ويتعوذ هو ويأمر أمته أن يتعوذوا بمخلوق مثلهم؟ وهل يجوز أن يعوذ إنسان نفسه أو غيره بمخلوق مثله؟ فيقول: أعيذ نفسى بالسماء أو بالجبال أو بالأنبياء أو بالعرش أو بالكرسى أو بالأرض؟

وإذا جاز أن يتعوذ بمخلوق مثله. فليعوذ نفسه وغيره بنفسه فيقول: أعيذك بنفسى. أو ليس قد أوجب عبدالله بن مسعود رحمه الله على من حلف بالقرآن بكل آية. كفارة؟ فهل يجب على من حلف بمخلوق كفارة؟

وروى عن عبدالله بن مسعود أنه سمع رجلاً يحلف بسورة البقرة فقال: «أما إن عليه بكل آية منها يمينا»[2].

وروى البخارى عن معاوية بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد فقلت: إنهم يسألوننا عن القرآن. أمخلوق هو؟ فقال ليس بخالق ولا مخلوق. ولكنه كلام الله.

وروى سفيان بن عيينة قال: قال عمرو بن دينار: (أدركت أصحاب النبى ﷺ

---

(١) الإبانة: ٢/ ١١٠ (٢) المصدر السابق: ٢/ ١١٤.

منذ سبعين سنة ومن دونهم. كلهم يزعمون: أن الله الخالق وما دونه مخلوق. إلا القرآن فإنه منه وإليه يعود).

وصد الله العظيم ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وروى البخارى ومسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله. كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله ﷺ: «يأتينى أحيانا فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على. فيفصم عنى وقد وعيت ما قال الملك. وأحيانا يتمثل لى الملك رجلاً فيعلمنى - قال القعبى: فيكلمنى فأعى ما يقول - قالت عائشة رضى الله عنها: ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم وإن جبينه ليتفصد عرقا» ورواه مالك أيضا.

* * *

صفة الإرادة والمشيئة والهداية

الإرادة والمشيئة كلتاهما عبارتا عن معنى واحد.

روى الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي رضى الله عنه: المشيئة إرادة الله تعالى. قال الله عز وجل: ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ فأعلم الله تعالى خلقه. أن المشيئة له دون خلقه. وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله فيقال لرسول الله ﷺ. ما شاء الله ثم شئت. ولا يقال ما شاء الله وشئت.

وروى عن الأوزاعي. قال: أتى النبي ﷺ يهودي. فسأله عن المشيئة فقال: «المشيئة لله تعالى. قال: فإني أشاء أن أقوم. قال: قد شاء الله أن تقوم. قال: فإني أشاء أن أقعد. قال: فقد شاء الله أن تقعد. قال: فإني أشاء أن أقطع هذه النخلة. قال: فقد شاء الله أن تقطعها. قال: فإني أشاء أن أتركها. قال: فقد شاء الله أن تتركها. قال: فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام. فقال: لقنت حجتك كما لقنها إبرهيم عليه السلام. قال: ونزل القرآن فقال: ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين** ﴾ قلت: هذا وإن كان مرسلا فما قبله من الموصولات فى معناه يؤكده. وبالله التوفيق والعصمة[1].

ويؤكد هذا المعنى ما نزل فى كتاب الله عز وجل من الآيات المثبتة لهذه الصفة قال الله تعالى: ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وما يذكرون إلا أن يشاء الله** ﴾ وقوله: ﴿ **ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد** ﴾ وقوله: ﴿ **ولو شاء ربك ما فعلوه** ﴾ وقوله: ﴿ **قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به** ﴾ وقوله: ﴿ **يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير** ﴾ وقوله: ﴿ **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** ﴾ وقوله: ﴿ **يهدى الله لنوره من يشاء** ﴾ وقوله: ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾ وقوله: ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ وقوله: ﴿ **ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾.

---

(١) الأسماء والصفات: ١٤٤، ١٤٥.

ومما روى فى السنة الصحيحة ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقول أحدكم اغفر لى إن شئت أوارحمنى إن شئت. أو ارزقنى إن شئت. ليعزم مسألته. الله يفعل ما يشاء لا مُكره له».

وفى هذا إثبات المشيئة لله عز وجل وأنه يفعل ما يشاء.

وروى البيهقى بسنده المتصل عن أبى الزبير المكى قال: إن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول: الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره. فأتاه رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفارى. فحدثه بذلك من قول ابن مسعود رضى الله عنه قال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإنى سمعت رسول الله ﷺ. يقول «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة. بعث الله تعالى إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك. فيقول: يا رب أرجَله. فيقول ربك ما شاء. ويكتب الملك. فيقول يا رب رزقه. فيقضى ربك ما شاء. ويكتب الملك. ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص» ورواه مسلم فى الصحيح وزاد منه: «فقال: يا رب شقى أم سعيد؟ فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك».

وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول: أى رب نطفة أي رب علقة أى رب مضغة. فإذا أراد الله عز وجل أن يقضى خلقها قال: أى رب أذكر أم أنثى؟ أشقى أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه» ورواه مسلم والبيهقى أيضًا.

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سئل النبى ﷺ عن العزل، فقال: «ما من كل الماء يكون الولد. وإذا أراد الله تعالى خلق شىء لم يمنعه شىء».

وروى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا إلى فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء».

وروى البخارى عن عبدالله بن أبى قتادة عن أبيه فى حديث الميضأة قال: فقال النبى ﷺ: «إن الله تعالى قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء. فقضوا حوائجهم فتوضئوا إلى أن أبيضت - يعنى الشمس - ثم قام فصلى».

وروى البيهقى بسنده المتصل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: لما رجع رسول

الله ﷺ من الحديبية نزل منزلا فعرّس فيه. فقال من يحرسنا؟ فقال عبد الله أنا. أنا. فقال: أنت؟ مرتين أو ثلاثًا. يعنى إنك تنام. ثم قال: ﷺ: «أنت لها» فحرست. فلما كن فى وجه الصبح أدركنى ما قال رسول الله ﷺ فتمت. فلم نستيقظ إلا بحر الشمس على ظهورنا. فقام رسول الله ﷺ فصنع كما كان يصنع ثم صلى الصبح. ثم قال: «إن الله تعالى لو شاء لم تناموا عنها. ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم. فهكذا ى لمن نام أو نسى».

وروى أبو داود الطيالسى فى مسنده عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان. ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان».

وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بكلمة فى بعض الأمر. فقال الرجل لرسول الله ﷺ ما شاء الله وشئت. فقال رسول الله ﷺ: «أجعلتنى لله عدلا. بل شاء الله وحده».

لقد دلت هذه النصوص القرآنية وتلك الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة على أن حدوث كل شىء إنما هو بمشيئة الله وإرادته وحده عز وجل.

وإذا أراد العبد أمرا وشاء ذلك. فلن تحقق مشيئة العبد وإرادته إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته «وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين».

وكذلك يهدى الله من يشاء ويضل من يشاء لحكمه يعلمها هو سبحانه وتعالى قال الله تعالى: ﴿**وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله**﴾ وقال: ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾ وقال: ﴿**ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**﴾ وقال ﴿**ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا**﴾ وقال: ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعلمون**﴾ وقال: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء**﴾ وقال: ﴿**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء**﴾ وقال: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير**﴾ والآيات المنزلة فى هذا الأمر كثيرة.

وأخرج البخارى ومسلم عن الزهرى قال: أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبيه

قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة. جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبى أمية بن المغيرة. فقال النبى ﷺ لأبى طالب: أى عم قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاج لك بها عند الله.

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟

فلم يزل النبى ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبى ﷺ: أما والله لاستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك. فأنزل الله عز وجل: ﴿**ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾.

فأنزل الله تعالى فى أبى طالب على رسول الله ﷺ ﴿**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء**﴾ ورواه البيهقى فى الأسماء والصفات.

وروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن جل جلاله كقلب واحد يصرفها كيف يشاء. ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

وروى الزهرى عن سالم بن عبدالله. أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر يقول: ألا إنما بقاؤكم فيما سلف من الأمم قبلكم. كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. أعطى أهل التوارة. التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار. ثم عجزوا. فأعطوا قيراطا قيراطا. وأعطى أهل الإنجيل. الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا. قيراطا. ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين. قيراطين. فقال أهل التوراة والإنجيل. ربنا هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجراً. فقال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء. فقالوا: لا فقال: فضلى أوتيه من أشاء» رواه البخارى.

روى الإمام أحمد عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون. فأخبرنى رسول الله ﷺ: «أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء. فجعله رحمة للمؤمنين. فليس من رجل يقع به الطاعون. فيمكث فى بيته صابراً محتسباً. يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له. إلا كان له مثل أجراً لشهيد» وأخرجه البخارى عن داود.

روى عبدالرزاق عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى لا يقل ابن آدم. يا خيبة الدهر. فإنى أنا الدهر أرسل الليل والنهار. فإذا شئت قبضتهما».

وروى حرملة قال: قال الشافعى رضى الله عنه: تأويله والله أعلم أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التى تنزل بهم من موت أو هدم أو تلف أو غير ذلك. فيقولون إنما يهلكنا الدهر. وهو الليل والنهار. فيقولون أصابتهم قوارع الدهر. وأبادهم الدهر. فيحملون الليل والنهار اللذان يفعلان ذلك. فيذمون الدهر بأنه الذى يفنينا. ويفعل بنا. فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبو الدهر على أنه يفنيكم. والذى يفعل بكم هذه الأشياء. فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء. فإنما تسبون الله تبارك وتعالى. فإن الله عز وجل فاعل هذه الأشياء»[1] أ. هـ.

وقال الله تعالى: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجا كأنما يصعد فى السماء**﴾.

وقال: ﴿**ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ* أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**﴾ وقوله: ﴿**إن الله يهدى من يريد**﴾.

وروى البخارى عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم ويعطى الله» ورواه مسلم عن حرملة.

وأخرج مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفًا وفرطًا. وإذا أراد هلاك أمة عذبها ونبيها حى، فأقرعينه يهلكنها حين كذبوه وعصوا أمره».

وروى مقاتل بن حبان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: إن رسول الله قال لأبى بكر رضى الله عنه: «يا أبا بكر لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس».

فهذه الأمور كلها. الارادة والمشيئة والهداية والإضلال كلها ثابتة لله عز وجل ولو اجتمع أهل الأرض والسموات على فعل أمر فلن يتحقق إلا بإرادة الله تعالى فمن أراد الله هدايته فلن يضله أحد ومن أراد أن يضله فلن يهديه أحد.

---

(١) الأسماء والصفات ١٥٠.

٣ - الرحمن على العرش أستوى

العرش والكرسى واللوح والسموات والأرضين وما فيهن مما نعلم من ملك وما لا نعلم كله مخلوق لله عز وجل. وهناك فارق بين الخالق والمخلوق فالخالق يجب له كل كمال والمخلوق صنعة الخالق ومحتاج إليه.

قال الله تعالى: ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾ وقال: ﴿**وهو رب العرش العظيم**﴾ وقال عز وجل: ﴿**ذو العرش المجيد**﴾ وقال تعالى: ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم**﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾ وقال جل وعلا: ﴿**بل هو قرآن مجيد. فى لوح محفوظ**﴾.

سبحانه وتعالى خلق كل شيء فقدره تقديراً. وكل ما خلق شاهد على عظمته ودليل على وحدانيته وقدرته وتفرده بالخلق والإيجاد (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار الآيات لأولى الألباب).

وروى البخارى ومسلم عن أبين عباس رضى الله عنهما قال: إن نبى الله ﷺ كان يدعو عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش العظيم).

وروى البخارى عن أبى ذر رضى الله عنه قال: دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس. فلما غربت الشمس قال: يا أبا ذر هل تدرى أين تذهب هذه؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب تستأذن فى السجود فيؤذ لها وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها. ثم قرأ: (ذلك مستقر لها) فى قراءة عبدالله».

وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ. عن قول الله عز وجل: ﴿**والشمس تجرى لمستقر لها**﴾ قال: «مستقرها تحت العرش».

وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ: قال: (إن الناس يصعقون يوم القيامة. فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش). وفى رواية له عن أبى هريرة: «فأكون أول من بعث. فإذا موسى آخذ بالعرش».

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ. قال: لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى».

قال الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال جل وعلا: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤] وقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من الطريق الحسن البصرى عن أمة عن أم سلمة – رضى الله عنها – أنها قالت: (الأستواء غير مجهول. والكيف غير معقول والإقرار به إيمان. والجحود به كفر).

ومن الطريق ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه سئل: كيف استوى على العرش؟ فقال: (الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول. وعلى الله الرسالة. وعلى رسوله البلاغ. وعلينا التسليم).

وأخرج البيهقى بسند جيد عن الأوزاعى. قال: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه. ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

وأخرج الثعلبى من وجه آخر عن الأوزاعى أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فقال: هو كما وصف نفسه.

وأخرج البيهقى بسند جيد عن عبدالله بن وهب قال: كنا عند مالك. فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله. الرحمن على العرش استوى. كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء. ثم رفع رأسه فقال: (الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف. وكيف عنه مرفوع. وما أراك إلا صاحب بدعة. أخرجوه) ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه: (والإقرار به

واجب والسؤال عنه بدعة) وأخرج البيهقى من طريق أبى داود الطيالسى قال: كان سفيان الثورى وشعبه وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأبو عوانه: لا يحددون ولا يشبهون. ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف؟ قال أبو داود: وهو قولنا. قال البيهقى: وعلى ذا مضى أكابرنا.

وأسند اللالكائى عن محمد بن الحسن الشيبانى قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاءبها الثقات عن رسول الله ﷺ. وفى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير. فمن فسر شيئًا منها وقال بقول جهم. فقد خرج عما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شىء.

ومن طريق الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعى ومالكا والثورى والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وأخرج ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى عن يونس بن عبدالأعلى: سمعت الشافعى يقول: (لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردها. ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر. فنثبت هذه الصفات وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: (ليس كمثله شىء).

وأسند البيهقى بسند صحيح عن أحمد بن أبى الحوارى عن سفيان بن بن عيينة قال: (كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه).

ومن طريق أبى بكر الضبعى قال: مذهب أهل السنة فى قوله: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ قال: بلا كيف. والآثار فيه عن السلف كثيرة. وهذه طريقة الشافعى وأحمد بن حنبل. وقال الترمذى فى الجامع عقب حديث أبى هريرة فى النزول وهو على العرش كما وصف به نفسه فى كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبهه من الصفات[1]. أ. هـ.

وقال الإمام ابن جزم رحمه الله[2]. قول الله تعالى يجب حمله على ظاهرة ما لم

---

(١) راجع هذه الأقوال فى فتح البارى ١٣ / ٥٠٠، ٥٠١ والأسماء والصفات للبيهقى: ٤٠٨، ١٠٩.

(٢) وهو المتحدث الرسمى باسم السلفية.

يمنع من حمله على ظاهرة نص آخر أو إجماع أو ضرورة حس. وقد علمنا أن كل ما كان فى مكان فإنه شاغل لذلك المكان ومالىء له ومتشكل بشكله. ولابد من أحد الأمرين ضرورة وقد علمنا أن ما كان فى مكان فإنه متناه بتناهى مكانه وهو ذو جهات ست أو خمس متناهية فى مكان. وهذه كلها صفات الجسم. ثم قال: إن الأمة أجمعت على أنه لا يدعو أحد فيقول: يا مستوى ارحمنى، ولا يسمى ابنه: عبدالمستو ثم قال: إن مغنى قوله تعالى على العرش استوى. أنه فعل فعله فى العرش وهو انتهاء خلقه إليه، فليس بعدالعرش شيء - والعرش نهاية جرم المخلومات - الذى ليس خلفه خلاء ولا ملاء. ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان. فقد لحق بقول الدهرية. وفارق الإسلام. ثم رد على القائلين بالمكان وختم كلامه بقوله: فإنه لا يكون فى مكان إلا ما كان جسماً أو عرضا فى جسم. هذه الذى لا يجوز سواه، ولا يتشكل فى العقل والوهم غيره البتة. وإذا انتفى أن يكون الله عز وجل جسما أو عرضا فقد انتفى أن يكون فى مكان أصلا وبالله نتأيد(١).

وهكذا استقبل السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام تلك الآيات وهذه الأحاديث الواردة فى الأستواء ومثلها الواردة فى النزول والعروج واليد والعين والوجه والساق مما هو من متشابه القرآن الكريم والسنة الشريفة كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه (نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه).

ونحن نقول بما قال به إمامنا الشافعى رضى الله عنه: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله. وآمنت برسول الله. وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ)(٢).

إن هذه الآيات ومثلها مما هو من متشابه القران نؤمن بها وققرؤها كما نزلت ولا نتصرف بتأويل ولا غيره إلا إذا جاءنا عن رسول الله ﷺ وصحبه فيها شيء. فهذه الآيات ومثلها من الأحاديث الصحيحة يختبر الله بها إيماننا. فتنبه يا أخى المسلم حتى لا تقع فى خطأ قد يجرك إلى ضلال المضلين وبدعة المبتدعين ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى. هامش ٤٠٩. فهل يعتبر أدعياء السلف من المشبهة بقول ابن حزم الظاهرى وهو ممن يتكلم باسم السلف.

(٢) منهاج المسلم: ٢٢.

(٤) رؤية البارى عز وجل

رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار فى الآخرة ممكنة. وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة الصحيحة. ولا ينكر ذلك إلا الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة ورأيهم هذا معارض لصريح القرآن وصحيح الحديث.

قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ يعنى: مشرقة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] يعنى: رائية. ترى بها عز وجل[١].

وقال الله عز وجل على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

«رب أرنى أنظر إليك» ولا يجوز أن يكون موسى – صلوات الله عليه وسلامه وقد ألبسه الله جلباب النبيين. وعصمة بماعصم به المرسلين. قد سأل ربه – عز وجل – ما يستحيل عليه. فإذا لم يجز ذلك على موسى ﷺ علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً. وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى.

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا تعالى كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى ﷺ. وعلموه هم. لكانوا على قولهم. أعلم من موسى ﷺ. وهذا مما لا يدعيه مسلم[٢].

إن سيدنا موسى ﷺ علم أن رؤية البارى فى الدنيا جائزة.

ولذلك طلبها. لأنه لا يعقل أن يطلب نبى مرسل من ربه عز وجل أن يحقق له أمراً يستحيل وقوعه. ولذلك علق ربنا جواز الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن بحول الله وقوته.

وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ١٦].

---

(١) الإبانة للأشعرى.

(٢) الإبانة للأشعرى: ٤١، ٤٢ تحقيق د. فوقية حسين.

قال أهل العلم: (الحسنى) الجنة (وزيادة) الرؤية للبارى عز وجل أما قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يحتمل أن يكون لا تدركه فى الدنيا. وتدركه فى الآخرة كما يحتمل أن يكون الله تعالى قد أراد بذلك لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين.

وروى البخارى فى صحيحه عن جرير رضى الله عنه قال: (كنا جلوسا عند النبى ﷺ. إذ نظر إلى القمر ليلة البدر. قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامنون فى رؤيته. فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس. فافعلوا).

وفى رواية له عن جرير أيضاً قال: قال النبى ﷺ: «إنكم سترون ربكم عيانا».

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه. أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله. قال: فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة. فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس. الشمس. ويتبع من كان يعيد القمر. القمر. ويتبع من كان يعبد الطواغيث. الطواغيث. وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أومنافقوها - شك إبراهيم - فيأتيهم الله. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه. ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم. فأكون أنا وأمتى أول من يجيزها. ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل. ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم.. الحديث).

وروى أيضاً عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قلنا يا رسول الله. هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا. قال: فإنكم لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون فى رؤيتهما. ثم قال: ينادى مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون. فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم. وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم. حتى يبقى من كان يعبد الله من برّ أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب. ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب. فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيزا ابن الله. فيقال:

كذبتم لم يكن لله صاحبه ولا ولد. فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا. فيقال: اشربوا فيتساقطون فى جهنم ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد. فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا.

فيقال: اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍ أو فاجر فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس. فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم. وإنا سمعنا منادياً ينادى. ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون. وإنما ننتظر ربنا. قال: فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة. فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: السَّاق فيكشف عن ساقه. فيسجد له كل مؤمن. ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة. فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً. ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرانى جهنم.. الحديث.

ففى هذه الأحاديث يؤكد لنا رسول الله ﷺ أن المؤمنين سوف يرون ربهم فى الآخرة بيقين كما أنهم على يقين من رؤية الشمس والقمر أما كيفية وقوع الرؤية فهذا مما هو في علم الله تعالى. وهو قادر على أن يخلق فينا ما يتيح لنا التمتع برؤيته عز وجل. اللهم لا تحرمنا من لذة النظر إلى وجهك الكريم ولا من مرافقة نبيك سيدنا محمد ﷺ فى الفردوس الأعلى من الجنة.

وروى عن البيهقى رحمه الله قال: وروينا فى إثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وحذيفة بن اليمان. وعبد الله بن مسعود. وعبد الله بن عباس وأبى موسى (الأشعرى). وغيرهم رضى الله عنهم. ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم إلينا. كما أنهم لما اختلفوا فى الحلال والحرام والشرائع والأحكام. نقل اختلافهم فى ذلك إلينا. وكما أنهم لما اختلفوا فى رؤية الله بالأبصار فى الدنيا. نقل اختلافهم فى ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله بالأبصار فى الآخرة عنهم. ولم ينقل عنهم فى ذلك اختلاف يعنى: فى الآخرة. كما نقل عنهم فيها اختلاف فى الدنيا.

علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فى الآخرة متفقين مجتمعين.

وروى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه قال فى قول الله عز وجل: ﴿ **كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٥] قال: فلما حجبهم فى السخط كان

هذا دليلا على أنهم يرونه فى الرضا. كما روى أيضًا عن سعيد بن أسد قال: قلت للشافعى رحمه الله ما تقول فى حديث الرؤية؟ فقال لى: يا ابن أسد. أقض على حييت أومت أن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإنى أقول به. وإن لم يبلغنى. والله أعلم[1].

وممن كان يجوز الرؤية فى الدنيا: ابن عباس أبو هريرة وأحمد بن حنبل وغيرهم. والله أعلم.

* * *

(١) الاعتقاد: ٢٢٧، ٢٢٨.

obeikandl.com

(٥) قضية خلق الأعمال

اتفق سلف الأئمة. قبل ظهور البدع والأهواء. واضطراب الآراء. على أن الخالق المبدع رب العالمين. ولا خالق سواه. ولا مخترع إلا هو. فهذا هو مذهب أهل الحق. فالحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى. ولا فرق بين ما تعلقت قدرة العباد به. وبين ما تفرد الرب بالاقتدار عليه. ويخرج من مضمون هذا الأصل أن كل مقدور لقادر. فالله تعالى قادر عليه وهو مخترعه ومنشؤه.

واتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الأهواء على أن العباد يوجدون لأفعالهم. مخترعون لها بقُدَرِهم. واتفقوا أيضًا على أن الرب تعالى عن قولهم لا يتصف بالاقتدار على مقدور العباد. كما لا يتصف العباد بالاقتدار على مقدور الرب تعالى[١]. أ. هـ.

أى ضلال هذا الذى يقول به المعتزلة؟ وخاصة القدرية منهم.

إن القول الحق. أنه ل يقع فى ملك الله تعالى إلا ما أراده الله عز وجل وقدره وأحدثه. قال الله عز وجل: ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [غافر: ٦٢].

فدخل فيه: الأعيان والأفعال من الخير والشر.

وقال تعالى: ﴿ **أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [الرعد: ١٦] فنفى أن يكون خالق غيره. ونفى أن يكون شىء سواه غير مخلوق. فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله – سبحانه – خالق بعض الشىء دون جميعها. وهذا خلاف الآية ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان. فلو كان الله خالق الأعيان والناس خالقى الأفعال. لكان خلق الناس أكثر من خلقه. ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه وتعالى. ولأن الله تعالى قال: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات: ٩٦] فأخبر أن أعمالهم مخلوقة لله عز وجل[٢].

روى البيهقى بسنده عن قتادة فى قوله: ﴿ **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ** ﴾ [الصافات: ٩٥] قال: الأصنام ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ قال: خلقكم وخلق ما

---

(١) الارشاد للجوينى: ١٨٧.

(٢) كتابنا الإمام الشافعى والفكر السلفى: ٦٥.

تعلمون بأيديكم قلنا رأى البيهقي - ولأن الله تعالى قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] فامتدح بالقولين جميعًا. فكما لا يخرج شيء من علمه. لا يخرج شيء غيره من خلقه. ولأنه قال: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٣، ١٤] فأخبر أن قوله وسرهم وجهرهم خلقه وهو بجميع ذلك عليم. وقال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣] كما قال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٤] فكما كان مميتا محييا بأن خلق الموت والحياة. كان مضحكا ومبكيا. بأن خلق الضحك والبكاء. وقد يضحك الكافر سرورا بقتل المسلمين وهو منه كفر. وقد يبكى حزنا بظهور المسلمين وهو منه كفر.

فثبت أن الأفعال كلها خيرها وشرها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها ولأنه قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] وقال: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤] فسلب عنهم فعل القتل والرمي والزرع مع مباشرتهم إياه. وأثبت فعلها لنفسه. ليدل بذلك على أن المعنى المؤثر في وجودها بعد عدمها هو إيجاده وخلقه. وإنما وجدت من عباده مباشرة تلك الأفعال بقدرة حادثة أحدثها خالقنا - عز وجل - على ما أراد. فهي من الله - سبحانه خلق عنى معنى أنه هو الذى اخترعها بقدرته القديمة. وهي من عباده كسب على معنى تعلق قدرة حادثة بمباشرتهم التى هى أكسابهم. ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف فعل مكتسبها يدل على موقع أوقعها على ما أراد غير مكتسبها وهو الله. ربنا. خلقنا وخلق أفعالنا. لا شريك له في شيء من خلقه (تبارك الله رب العالمين).

وكان الإمام أبو الطيب. سهل بن محمد بن سليمان (شيخ الشافعية بخراسان) يعبر عن هذا. بعبارة حسنة. فيقول: (فعل القادر القديم خلق. وفعل القادر المحدث كسب. فتعالى القديم عن الكسب وجل. وصغر المحدث عن الخلق وذل).

وقد أثبت الله - سبحانه - كسب العباد وخلق كسبهم بما ذكرنا من الآيات في هذا الموضوع. ثم يقول. وبمثل ذلك جاءت السنة عن رسول الله ﷺ[1]. أ. هـ.

---

(١) الاعتقاد للبيهقي: ٢٤٤ - ٢٤٦.

ولنا أن نتساءل: ما هو الكسب. وما هو المعنى المراد منه؟

يجيب على ذلك العلامة ابن القيم الجوزية[1] فيقول: أما الكسب فأصله فى اللغة: الجمع. قاله الجوهرى. وهو طلب الرزق. يقال: كسبت شيئًا واكتسبته بمعنى. وكسبت أهلى خيرا. وكسبت الرجل مالا فكسبه وهذا مما جاء على فعلته ففعل. والكواسب الجوارح: وتكسبب تكلف الكسب. والكسب قد وقع فى القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: عقد القلب وعزمه. كقوله تعالى: ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أى بما عزمتم عليه وقصدتموه، وقال الزجاج: أى يؤاخذكم بعزمكم على أن لا تبرواو أن لا تتقوا وأن تعتلوا فى ذلك بأنكم حلفتم. وكأنه التفت إلى لفظ المؤاخذة. وأنها تقتضى تعذيبا. فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان اليمين. والقول الأول أصح. وهو قول جمهور أهل التفسير فإنه قابل به لغواليمين. وهو أن لا يقصد اليمين. فكسب القلب المقابل للغواليمين هو عقده وعزمه. كما قال فى الآية الأخرى ﴿ **وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ** ﴾ [المائدة: ٨٩] فتعقيد الإيمان هو. كسب القلب.

الوجه الثانى من الكسب: كسب المال من التجارة. قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ** ﴾ [البقرة: ٢٦٧] فالأول للتجار والثانى للزراع.

الوجه الثالث من الكسب: السعى والعمل كقوله تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿ **مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** ﴾ [الزمر: ٢٤] ﴿ **وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [الأنعام: ٧٠] أ.هـ.

وروى الربيع بين سليمان عن الإمام الشافعى رضى الله عنه: أنه قال: قال الله تعالى ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الإنسان: ٣٠] فأعلم الله عباده أن المشيئة له دون خلقه. وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء.

---

(١) شفاء العليل: ١٢٠.

قال الفخر الرازى: واعلم أن الشافعى أشار فى هذا الكلام إلى الدليل الذى هو الدليل الأقوى لمثبتى القضاء والقدر. وتقديره: أن صدور الفعل من العبد. موقوف على أن يحصل فى قلبه مشيئة لذلك الفعل. وحصول تلك المشيئة ليس بمشيئة أخرى من قبل العبد وإلالزم التسلسل فلابد من انتهاء تلك المشيئة إلى مشيئة تحدث بمشيئة الله تعالى. وعلى هذا التقدير: يكون الكل بقضاء الله[1].

وروى البيهقى[2] بإسناده عن الشافعى عن يحيى بن سليم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب – كرم الله وجهه - أنه خطب فى الناس فقال فى خطبته: أعجب ما فى الإنسان قلبه. فيه مواد من الحكمة وأضدادها من خلافها فإذا سنح له الرجاء أولهه الطمع وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص. وإن ملكه اليأس قتله الأسف. وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ. وإن أسعده الرضا نسى التحفظ. وإن ناله الخوف شغله الحزن وإن أصابته المصيبة قصمه الجزع. وإن وجد مالا أطغاه الغنى. وإن عضته فاقة شغله البلاء. وإن أجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر. وكل إفراط له مفسد.

قال: فقام رجل ممن شهد معه الجمل. فقال: يا أمير المؤمنين. أخبرنا عن القدر. فقال: بحر عميق فلا تلجه. فقال: يا أمير المؤمنين: أخبرنا عن القدر فقال: بيت مظلم فلا تدخله. فقال يا أمير المؤمنين: أخبرنا عن القدر فقال: سر الله فلا تبحث عنه. فقال: يا أمير المؤمنين: أخبرنا عن القدر فقال: لما أبيت. فإنه أمر بين أمرين. لا جبر ولا تفويض:

فقال: يا أمير المؤمنين: إن فلانا يقول: بالاستطاعة – وهو حاضر فقال على رضى الله. عنه: علىّ به. فأقاموه. فلما رآه قال له: الاستطاعة تملكها مع الله. أو من دون الله؟ وإياك أن تقول أحدهما فتريد قال: قل أملكها بالله. الذى إن شاء ملكنيها. أ.هـ.

قال الإمام فخر الدين الرازى شارحا لكلام أمير المؤمنين رضى الله عنه:

هذا الفصل الذى ذكره أمير المؤمنين على رضى الله عنه. فصل فى غاية الجلالة ودال على صحة القول بالقضاء والقدر. وبيانه: أن لا شك فى أن أفعال الجوارح مرتبطة بما يحصل فى القلوب من الدواعى والصوارف. ثم إنه رضى الله عنه بين أن كل ما فى القلب من الدواعى والصوارف فإنه يحدث بسبب من الأسباب الخارجة عن

---

(١) الإمام الشافعى والفكر السلفى: ٦٨.

(٢) المصدر السابق: ٧٠ – ٧٢.

قدرة الإنسان واختياره. وذلك أن الإنسان إذا رأى صورة شخص وسمع كلامه. ترتب على تلك الرؤية وذلك السماع رجاء لشيء. ثم حصول ذلك الرجاء عقيب تلك الرؤية. وذلك السماع ليس باختيار الإنسان البتة بل هو حاصل سواء أراد الإنسان حصوله أو لم يرده. وإذا حصل ذلك الرجاء له. أولهه الطمع شاء أم أبى وهذا برهان قاطع على أن أفعال العباد مرتبة على ما فى القلوب من الدواعى والصوارف. وأن تلك الدواعى والصوارف يترتب بعضها على بعض ترتبا اضطراريا. وذلك تحقيق القول بالقضاء والقدر.

فما أشرف كلام أمير المؤمنين رضى الله عنه فى هذه المسألة وأما قوله رضى الله عنه: فإنه أمر بين أمرين. لاجبر ولا تفويض فتفسيره: هو أن الجبر أن يحدث الشيء على خلاف الإرادة. وههنا فعل الإنسان يحدث على وفق إرادته فلا يكون جبراً. ثم إن حدوث تلك الإرادة فى قلب الإنسان ليس من الإنسان. وإلا. لافتقر إلى إرادة أخرى ولزم التسلسل وهو محال. بل من الله تعالى. وإذا كان الأمر كذلك ثبت أنه لا تفويض. فثبت أن زبدة كلام العقلاء وحاصل أفكارهم ليس إلا ما أدرجه أمير المؤمنين – على بن أبى طالب رضى الله عنه – فى هذه الألفاظ الموجزة النفيسة.

ثم يقول: ونظير هذه الكلمة فى الجلالة ما نقل عنه عليه السلام أنه سئل عن التوحيد والعدل فقال: (التوحيد أن لا نتوهمه. والعدل أن لا نتهمه) وهاتان الكلمتان المختصرتان مشتملتان على جميع ما ذكره المتكلمون فى تصانيفهم الطويلة. ولو شرعنا فى شرحهما لطال الكتاب أ. هـ.

أخرج البخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته».

وأخرج البيهقى عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قيل: ففيم يعمل العاملون؟

قال: كل ميسر لما خلق له.

وفى رواية ابن علية قال «أعملوا فكل ميسر».

إن كل ما يقع بالإنسان أو يحدث منه إنما هو بقدر الله عز وجل. ولذلك أمرنا أن نعمل ونهينا عن فعل أشياء إيمانا وليس لنا أن نبحث ونفتش فى هذه المسألة بعقولنا. حتى لا نضل فنهلك ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إن علماء السلف الذين نور الله قلوبهم بأنوار الإيمان يقررون ويؤكدون على ضرورة الإيمان بالقدر.

أخرج عبد الرزاق فى مصنفه: روى معمر عن قتادة عن الحسن البصرى قال: (من كذب بالقدر. فقد كذب بالقرآن).

وأخرج الطبرى فى التفسير عن خالد الحذاء أن الحسن قال فى هذه الآية: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] قال: خلق هؤلاء لهذه. وهؤلاء لهذه.

وأخرج الطبرى فى التفسير عن منصور بن عبدالرحمن قال: كنت مع الحسن. فقال لى رجل إلى جنبه سله عن قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] فسألته عنها فقال: ومن يشك فى هذا؟ ما من مصيبة بين السماء والأرض إلا فى كتاب من قبل أن تبرأ النسمة وأخرج الصبرى فى التفسير وأبو داود فى السنن عن قرة بن خالد قال: سمعت رجلا يسأل الحسن عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] قال: خلقهم للاختلاف.

وأخرج أبو داود فى السنن: عن حماد بن سلمة عن حميدة قال: قال رجل للحسن يا أبا سعيد. من خلق الشيطان؟ فقال: سبحان الله. ومن خالق غير الله؟ الله خلق الشيطان. والله خلق الخير. والله خلق الشر. فقال الرجل: قاتلهم الله. كيف يكذبون على هذا الشيخ؟

وروى الآجرى فى الشريعة عن عاصم الأحول قال: سمعت الحسن يقول: من كذب بالقدر. فقد كذب بالحق مرتين: إن الله عز وجل قدر خلقا. وقدر أجلا. وقد بلاء وقدر مصيبة. وقدر معافاة. وقدر معصية. وقدر طاعة. فمن كذب بشيء من القدر. فقد كذب بالقرآن.

وأخرج ابن أبى شيبة عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قال: نظرت فى بدء الأمر ممن هو. فإذا هو من الله. ونظرت على من تمامه. فإذا تمامه على الله. ونظرت ما ملاكه فإذا ملاكه الدعاء.

وروى الطبرى فى التفسير وأبو داود. أن سعيد بن جبير قال فى قول الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: كما كتب عليكم تكونون. وفريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة.

وروى الآجرى فى الشريعة والبيهقى فى الأسماء والصفات عن وهب بن منبه

قال: قرأت فيما قرأت من الكتب (إنى أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير وقدرته. فطوبى لمن قدرت الخير على يديه. وإنى أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدرته فويل لمن قدرت الشر على يديه).

وأخرج الإمام أحمد فى المسند عن نافع قال: بينا نحن عند ابن عمر قعود. إذ جاءه رجل فقال: إن فلانا يقرأ عليك السلام لرجل من أهل الشام. فقال ابن عمر بلغنى أنه قد أحدث حدثا. فإن كان كذلك. فلا تقرأ عليه السلام. فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون فى أمتى خسف ومسخ وهى فى الزندقية والقدرية» [ورواه الترمذى وقال: حسن صحيح وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى].

وأخرج الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرطهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «إذا كان أجل عبد بأرض هيئت له الحاجة إليها حتى بلغ أقصى أجله. قبض» قال: فتقول الأرض يوم القيامة: (رب. هذا عبدك كما استودعت) [رواه الترمذى].

وصد الله العظيم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

إن القدر سر من أسرار الله يجب علينا أن تؤمن به ولا تخوض فيه سئل الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه عن القدر فقال: إن الله أراد بنا أشياء وأراد منا أشياء. فما أراده بنا. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وما أراده منا سوف يسألنا عنه.

اللهم إيمان بك وبرسولك وتصديقا بكتابك وبسنة نبيك نؤمن بأن مقادير الأشياء بيدك. فلا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه.

* * *